سلسلة مطويات شبكة بينونة

إِنَّا كَفَيْنَاكَ المُسْتَهْزِئِينَ

الشيخ
د. أحمد بن فتحي المزروعي

@Baynoonanet @BaynoonanetUAE www.baynoonanet.net

الحمد لله، الحمد لله الذي أنزل القرآن هدى وبيانًا للناس، وصلى الله على نبيِّنا محمد الذي بعثه الله لإخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن رب الناس، اللهم صلِّ عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمَّا بعد، فنبينا محمد ﷺ طريقه طريق الإيمان، والسير على سنَّته سيرٌ على خير سنة، وأفضل أخلاق وشيم، فقد أنقذ الله ﷺ به الأمة، بعثته كانت نجاة للناس، فأخرجهم من الظلمات إلى النور؛ من الشرك إلى التوحيد، من البدع إلى الهدى، من الفسوق إلى الصالحات، من القتل والسَّفك والنَّهب والإجرام إلى حفظ الأموال والأنفس والعقول والأعراض.

أمَّن الله ﷻ به الإنسان، وسادت بسنته الرحمة والأمن في الأوطان، دلَّ أمَّته على كلِّ خير، فما من خيرٍ في الاعتقادات أو في الأقوال أو في الأفعال أو في المعاملات، إلَّا وقد دلَّ النبيُّ ﷺ أمتَه إليه.

وقد حذَّر أمته من كل شر، فما من شر في الاعتقادات أو في الأقوال أو في الأفعال أو في المعاملات، إلَّا وقد حذَّر النبي ﷺ أمته من ذلك الشر؛ لذلك يقول الله ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء: ٠٧]، فسنته رحمة بكل معاني الرحمة، فهي رحمة للإنسان في نفسه إذا طبَّقها وعمل بها، رحمة للمجتمع إذا عملوا به، رحمة في الأسرة إذا عملت الأسرة بسنة النبي ﷺ، رحمة في تعامل المعلم مع الطالب، والطاب مع المعلم، والأب مع الابن، والابن مع الأب، وكذلك الأم، رحمة في تعامل الإنسان في جيرانه وأقربائه وأرحامه، رحمة في التعامل حتى مع الحيوانات، رحمة حتى في التعامل مع النباتات.

يقول الله ﷻ: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ ﴾ [التوبة: ١٢٨]، تأمَّلوا هذه الآية العظيمة، ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ ﴾، يعزُّ عليه ويشقُّ

عليه كل ما فيه مشقَّة على الأمة، فهو رحمة، لا يريد المشقَّة على أمته؛ لذلك كانت سنته وبعثته يسرٌ على جميع الأديان السابقة، فإنَّ شريعته وسنته ﷺ كلها شرعة يسر وتيسير وسماحة.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾، حريص لإيصال أمته لكل خير، ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، هذه الآية تدل على شفقة النبي ﷺ، ورحمته بالأمة، وحرصه ﷺ عليها، ومن الآيات التي وصفت النبي ﷺ وصفًا بالغًا بليغًا: قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥]، الله ﷻ أرسل النبي ﷺ شاهدًا على أمته، ومبشرًا لها لكل خير وإلى الجنة، ونذيرًا لها من كل شر ومن النار، وداعيًا إلى الله بإذنه، وسراجًا منيرًا، فمن أراد النور، فعليه بسنة النبي ﷺ.

فسراج منير، أينما يذهب الإنسان يجد ظلمة، إلَّا في سنة النبي ﷺ، وقد جمع النبي ﷺ أشرف النسب، وأفضل الخلقة، وأجمل الأخلاق، فأشرف النسب نسبه، وأحسن الصورة صورته، فهو بليغ في كلامه، جميل في منطقه، فصيح في لسانه، ينطق بالحكمة وبالعلم، وافر العقل، دقيق الفهم، شاكرًا لربه، صابرًا عدلًا حييًّا أمينًا عفوًّا، احتمل المشاق لله وفي الله، رحيمًا كريمًا شجاعًا وقورًا متواضعًا مقتصدًا حليمًا طيب النفس سمحًا حسن المعاشرة صدوق اللسان وفيًا بالعهود، يبذل في رضا المعبود والتزام العهود ما يُبين للناس طريقته المحمدية العدلة الوسطيَّة.

فهو ﷺ رحمة؛ ذلك لو تأمَّلنا سيرته، وما وقع فيه النبي ﷺ من مشاق، عندما أُخرج من الطائف وأُوذيَ، وشجَّ رأسه، يأتيه الملك يريد أن يُطبق عليهم الأخشبين، فيقول: «**لا، لعلَّ الله يُخرج من أصلابهم من يعبد الله ولا يُشرك به شيئًا**»[١]، ما أسهلها أن يقول نعم، فيُطبق عليهم الأخشبان، لكنَّه رحمةٌ مُهداة.

تضع يهوديَّة السم في شاةٍ، فيعرف النبي ﷺ ذلك، فيسألها: لماذا فعلتِ ذلك؟ فتقول: إن كنت كاذبًا، فسيُريحنا الله منك، وإن كنت

[١] أخرجه البخاري (٣٢٣١).

صادقًا، فسينصرك الله، قال: فعفا عنها[١].

يأتيه الرجل، يسحبه من ثوبه، فيُعلِّم الرداء في رقبته ﷺ بأبي هو وأمي، فيقول: «دعوه»، ويعطيه ما شاء من مسألته[٢]، نبيٌّ رحمةٍ.

يأتيه رجل وهو نائم تحت ظل شجرةٍ فيرفع سيفه، يأخذ سيف النبي ﷺ ويرفع سيفه على النبي، فيقول الرجل للنبي ﷺ: من يمنعك مني؟ فيقول النبي ﷺ: «الله»، فيسقط السيف من الرجل، فيأخذ النبي ﷺ السيف، فيقول: «من يمنعك مني»، ثم يُنزل النبي ﷺ السيف، ويعفو عنه، فيُسلم ذلك الرجل[٣].

النبي ﷺ رحمة على هذه الأمة، ومن شوَّه الإسلام بخطأ فهم أو بسوء تصرفاتٍ فلا يجوز لنا أن ننسب أفعال المخطئين إلى الإسلام أو إلى سنة النبي ﷺ، فإنَّ بعض الناس قد نظر إلى أفعال بعض المتطرفين والتفجيريين والتكفيريين، ومَن كانوا أهل غدرٍ وتشويه لصورة الإسلام، فظنَّ أنَّ ذلك الإسلام، فأبغض الإسلام، فاستهزأ بالنبي وسبَّه ونحو ذلك من التصرفات، التي كان سببها أهل التطرف والتشدُّد.

الآن تُنسب تلك التصرفات الخاطئة إلى أفعال النبي ﷺ، وإلى سنة النبي ﷺ، وإن انتسبوا إليها هم، فالميزان أن يُوزن هؤلاء بسنة النبي ﷺ، فإن كانوا عليها، فمرحبًا وهلا، وإن كانوا على غير ذلك، وإن نادوا بأنَّهم على طريقة النبي ﷺ، فهم ليسوا على طريقته، كما قال النبي ﷺ: «فمن غشَّ، فليس منَّا»[٤]، فالذود عن سنة النبي ﷺ وتنقيتها من الشوائب من أعظم أنواع نصة النبي ﷺ ومن صور نصرة النبي ﷺ أمور:

الأمر الأوَّل: بالإيمان به ﷺ ومحبته، فقد قال رسول الله ﷺ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حتَّى أكُونَ أحَبَّ إلَيْهِ مِن ولَدِهِ ووالِدِهِ والنَّاسِ أجْمَعِينَ»[٥].

[١] أخرجه البخاري (٥٧٧٧).
[٢] أخرجه البخاري (٣١٤٩)، ومسلم (١٠٥٧).
[٣] أخرجه مسلم (٨٤٣).
[٤] أخرجه مسلم (١٠٢).
[٥] أخرجه مسلم (٤٤).

تُقدَّم محبة النبي ﷺ على كل محبة، ويُؤمن به إيمانًا جازمًا صادقًا.

الأمر الثاني: من نصرة النبي ﷺ أن تُنصر أقواله، وتُنشر سنته، ويُمتثل أمره و يُعمل ويُطبَّق بما شرعه ﷺ، فهنا النصرة الحقيقية، كما قال النبي ﷺ: «**بلِّغوا عني ولو آيَةً**»[١]، «**نضرَ اللهُ امرأً سمِعَ مقالَتي فوَعاها فأدّاها**»[٢]، نصرة النبي ﷺ تكون بمتابعته، والسير على سنته ﷺ، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١]، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، فالواجب والحرص أن يتمسَّك الإنسان بسنة النبي ﷺ، ويسير على طريقته فيما أمر به، ويمتثل ذلك الأمر، ويجتنب ما نهى عنه ويبتعد عنه، وما لم يشرعه النبي ﷺ فلا يعمل به، هذه هي النصرة الحقيقية.

الأمر الثالث: من نصرة النبي ﷺ وهي لأهل التخصص أكثر من أي شخص آخر، من كان عنده علم، وعنده خير، وهي النصرة تكون برد الشبَه والسعي في رد من تشبَّه بسنة النبي ﷺ وهو ليس على طريقته حقيقة، كأهل البدع والأهواء والأفكار المتطرفة، وبيان حال من كذب على النبي ﷺ.

ردُّ الشبه وتفنيدها وتطهير سنة النبي ﷺ ممَّا ألصقه بها من ليس من أهلها.

الأمر الرابع: وكذلك من نصرة النبي ﷺ الرد على المُستهزئين به من غير المسلمين، بالحكمة وبما يحصل به النفع ويرتفع به الضرر، فهكذا تكون نصرة النبي ﷺ، لا تكون بالطيش، لا تكون بالحماسة غير المُنضبطة، لا تكون بالعاطفة التي هي أشبه بعاصفة، لا تكون بالثورات لا تكون بالأباطيل لا تكون بالدفاع عن الباطل والأقاويل العليلة، بل تكون بما ذكرتُ لكم من السير على سنَّته ورد الشبه التي أُلصقت به والرد على من استهزأ به بعلمٍ وحكمة.

[١] أخرجه البخاري (٣٤٦١).
[٢] أخرجه ابن ماجه (٢٣٦)، وأحمد (١٣٣٥٠).

لذلك مهما حاول المستهزئون الاستهزاء بالنبي ﷺ فإنهم لن يصلوا إلى شمسها ولن يطفؤوا نورها لأن الله ﷻ رفع ذكره: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ [الشرح: ٤]، فسنة النبي ﷺ مرفوعة ظاهرة ومكانته عالية، ومحبته راسخة في القلوب، رغم أنف الحاسدين والمستهزئين، كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [الحجر: ٩٥]، وكل من استهزأ به، فهو من الخير مبتور (مقطوع)، كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ [الكوثر: ٣].

فلا يحجب نور الشمس غبار العابثين، ولا يضر البحر رمي حجارة المتهوكين، وكما قال الشاعر:

ما ضرَّ البحر أضحى زاخرًا

أن رمى فيه غلامٌ بحجر

وقال غيره:

لا يضر الفضل إقلالٌ كما

لا يضر الشمس إطباق الطفل

مهما حاولوا فإنَّ الله ﷻ يُدافع عن الذين آمنوا، ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ الآية [التوبة: ٤٠]، فنصرة النبي ﷺ نصرة واجبة، ولكنَّها تكون بنشر رحمته بنشر سنته الصحيحة بنشر أقاويله الجميلة بنشر أفعاله الطيبة والرد على من اتهمه، ورفع الشبه على من تلبَّست به، إذًا سنة النبي ﷺ طوق نجاة وأخلاقه خير الأخلاق وأعماله أجمل الأعمال، ولا طريق إلى الله إلَّا من طريق سنة رسول الله ﷺ، فعليها فلنتمسَّك وبها فلنسِر، وعلى طريقتها فلنستضيء.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من السائرين على سنته، المتمسكين بها الرافعين لرايتها الكاسرين لراية أهل الأهواء والتطرف والبدع، المجملين لصورة الإسلام في وقتٍ شوَّه فيه بعض من ينتسبُ إلى الإسلام صورة الإسلام.

وصلَّى الله على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.